

المحاضرة الخامسة

❖ نظرية التعبير: حاط، هيجل.

وردت مادة [ع ب ر] في اللغة بمعنى: قيل لعابر الرؤيا: عابر لأنه يتأمل في ناحيتي الرؤيا فيتفكر في أطرافها، ويتدبر كل شيء منها ويمضي بفكره فيها من أول ما رأى النائم إلى آخر ما رأى... وعبر ما في نفسه: أعرب وبيّن.¹

أما من حيث الاصطلاح فنظرية التعبير هي أن يعيد الأديب خلق الحياة من خلال رؤيته الخاصة.² فالأديب من وجهة نظر التعبيريين " يبدع أشكالاً أدبية جميلة من أعماق نفسه أو من اتصاله الوثيق بالطبيعة وحدها".³ ظهرت المدرسة التعبيرية كرد فعل على المدرسة الكلاسيكية التي أفرزتها نظرية المحاكاة التي تدعو إلى تمجيد الماضي والتأكيد على العقل والحث على أن الشعر خادم للمجتمع والأخلاق. وهي مدرسة تدعو إلى أدب يعبر عن الذات الإنسانية، على اعتبار أن الوجود الأول هو الذات وأما الوجود الموضوعي فهو ثان لأنه متلون بإدراك الذات المدركة.⁴

إن فلسفة النظرية التعبيرية ترى أن الذات هي التي تخلق الموضوع، لأن الأنواع تتغير، وما دامت الأنواع تتغير فإن العالم المدرك كذلك يتغير هو الآخر من ذات إلى أخرى، وبالتالي يكون الشيء في الشعر بحسب ما يمليه الشعور والوجدان لا ما تمليه الطبيعة، فقولك: هذا جميل هو ذكر للصفة دون الكشف عنها، وهو وصف فيه تعميم دون أن يخصص كيف هو هذا الجمال أي أن العبارة لا تفرق بين جمال وجمال آخر، لكن في الحقيقة هل ماتراه أنت جميلاً هو بالضرورة جميل عند غيرك، وإن كان جميلاً قد يختلف الشعور بهذا الجمال من ذات لأخرى، وتصبح الذات هي التي توجد هذا الجمال وتنشئه.

1- لسان العرب، ابن منظور، مج4، ص:530.قدير¹

2- ينظر، نظرية الأدب في النقد التاريخي العربي المعاصر، شاييف عكاشة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص:33-34.

3- في نظرية الأدب، تيري إيغلتن، ص:118.³

4- مقدمة في نظرية الأدب، عبد المنعم تليمة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1976م، ص:194.⁴

الأسس الفكرية والفلسفية:5

- 1 - اعتماد الفلسفة المثالية الذاتية.
- 2 - الدعوة إلى الفردانية الذاتية، حاملين شعار دعه يعبر عن ذاته.
- 3 - التعبير عن الآراء والأفكار بغض النظر عن الانتماء العائلي.
- 4 - جوهر الفرد، الحرية، الشعور، والوجدان.
- 5 - دون الإدراك الذاتي يعدّ العالم الموضوعي غير موجود.
- 6 - تقديم الشعور والوجدان والعاطفة على العقل والتجربة والخبرة.
- 7 - الفن تعبير عن صورة العالم الخاصة.
- 8 - الاهتمام بالشاعر أكثر من الأسلوب.

مهمة الأدب ووظيفته:6

تتمثل وظيفة الأدب عند التعبيريين في إثارة الانفعالات والعواطف أي إثارة عاطفة الحب أو الكره أو غيرها فالنفس لا تصوير عوائق المحبين.

لقد ذهبت المدرسة التعبيرية وفق هذا المنطق إلى القول بأنّ الشعر يكشف عن جمال الكون ويجسد السعادة الفنية، ويستطيع أن يخلقها وإن لم تكن موجودة فعلا. فالأدب وفق الطرح التي تقدمه نظرية التعبير خلق وإبداع وعبقورية فردية.

ويعد كلّ من كانط(1724/1804) وهيجل(1770/1831) الفيلسوفين المنظرين لأصول النظرية التعبيرية، ومنها استمد الأدباء الرؤيا لتأسيس لهذه المدرسة الفلسفية الأدبية، ذلك أن كانط فرق بين المعرفتين:

- ينظر، المرجع نفسه، ص:53،52.⁵
- ينظر، المرجع نفسه، ص:51.⁶

المعرفة الحسية، والمعرفة الشعورية. معتبرا الشعور الطريق للمعرفة الحقيقية، فإذا عرف الإنسان نفسه كما هو نفسه فإن ظواهر الحس تتعرف عليه، مخالفا مقولة جون لوك، وهيوم: أن المعرفة الإنسانية تأتي عن طريق الحواس المنفصلة، يقول: " إن الإحساسات والأفكار لا تأتي إلى أذهاننا إلا إذا احتجناها، إذ فينا وكيلا بالتوجيه والاختيار في استخدامها، وهو سيد لها ألا وهو العقل الموجود".⁷ كما اعتبر أن كلّ فنّان فنّان يبدأ من البداية، وهذا الكلام الذي قدمه كانط يوحى على أنّ هناك قوى خفية تمنح الموهبة الفنية.⁸

أمّا هيجل فهو زعيم المثالية بعد أفلاطون يرى أن مصدر الفنّ هو التجربة الخاصة الذات والفن مظهر للحقيقة، والفنان هو مدرك الحقيقة أي الفنان يدرك الحقيقة إدراكا خاصا ومن ثم مضمون الفن هو فكرة الجمال المستقلة عن مهمته في الحياة، ودراسة الإبداع هي دراسة المبدع الفنان الذي يتمثل عن طريق الخيال.⁹

- قصة الفلسفة، ول ديورانت، تر: فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، د ت، د ط، ص: 339.⁷
- ينظر، في نظرية الأدب، شكري عزيز ماضي، ص: 117.⁸
- في نظرية الأدب، شكري عزيز ماضي، ص: 52.⁹